اللماذا والكتابات النهائية

بقلم محمد الزايد

ليس اعلانا ان نصادر على نقطة انطلاق البحث في العلاقة بين فكرة « اللماذا » ومفاهيم الكتابات النهائية ، فنقول : لقد توقف زمن الكتابات النهائية . ولم يعد مقبولا افتراض الانطلاق من كتابات نهائية .

السؤال الذي يطرح نفسه هنا ، ما المقصود من تركيب الكتابات النهائية ؟

الكتابات النهائية ، كما أفهمها ، هي الكتابات المقدسة ، او بشكل أكثر تفصيلا ، كل كلمة او موقف يزعم ، او تزعم ، انها تموضع ذاتها مرة واحدة اخيرة والى الابد .

وسوف تقتصر مناقشتي التحليلية على مفهومين للكتابات النهائية هما الدين والجنس . لكن وعلى الرغم من اقتصار التحليل على الدين والجنس باعتبارهما اكثر اشكال الكتابات النهائية جذرية واهمية في البناء الفكري والاعتقادي لانسان مجتمعنا ، فان تركيب الكتابات النهائية ذو صفة شمولية تتخطى هذين المفهومين اللذين يتناولهما البحث .

ضمن آفاق المقدمات السالفة باحالاتها المنطقية التي تتضمنها او تشير اليها ، لا أعني بالكتابات النهائية أحرف اللغة الكتابية ، الكتابات المقدسة ، فحسب ، وانما كل ما يترتب على الكلمة من سلوك وموقف وحضور انساني شخصاني كلي وشامل . لان الكلمة أساسا تجسيد المعنى وتصوره داخل اسار الوعي الانساني الذي يترجمها فعلا سلوكيا تقوله الحركة الجسمية العينية المباشرة . بذلك تكون للكلمة اسبقية منطقية قبلية كنقطة بدء وان تبدت بعدية .

الا ان السبق القبلي المنطقي للكلمة لا يفترض استنتاج افضلية قيمية للكلمة على الفعل . فالكلمة والفعل يلتقيان ، كنظر (١) وعمل ، في مصدرهما الذي يتخارجان منه تعبيرا عنه ، الانسان ، او الانا الانسانية وحضورها الكينوني الواعي ، المنتبه للظاهرات .

فشكل العلاقة المنطقية بين الكلمة ـ الفعل بالنتيجة ، لا يخضع لسبق منطقي صوري ثنائي : سبب ـ نتيجة ، لان الكلمة ترتكس على الفعل الذي تقوله تعبيرا مجردا ، والفعل يرتكس على الكلمة التي يجسدها عيانيا .

كذلك الحال بالنسبة لشكل العلاقة بين الموقف والوعي . فبالرغم من اشتراط الموقف الواعي لحد ادنى من الوعي ، كلحظة أولانية (٢) له ، لكنه لا يحتم ارتباطا شرطيا حتميا بين الموقف ـ الوعي. الجدلية هنا جدلية لا حتمية . الامر الذي لا يفيد بدوره خلو المواقف من وعي ما . فكلمة (موقف) نسبية بنفس مقدار نسبية كلمة (وعي) ، الى درجة يصعب معها حتى الاستحالة اخضاعهما لمعيار اعتقادي ساكن تقاسان به او تسحبان منه لترتدا اليه كانموذج مطلق لآفاق المعرفة الانسانية وسلوكها . وهو تحليل ترفضه بالتأكيد المحتم العقلية المعتقدية الدينية وغير الدينية .

واو حاولنا ان نجد خلفية فكرية معاصرة للاراء السابقة ورؤاها التحليلية ، نجدها في كلمتين هما « حساب الاحتمالات » . بالذات الكلمة الثانية « الاحتمالات Probability » ، التي تحيلنا بعد ارتباطها العلائقي بالاولى « حساب » الى نقطة بنيانية اساسية لتصورات العقلانية المعاصرة . فتركيب حساب الاحتمالات يجسد وعيا واضحا لحدود العقل الانساني واحراجاته التي تتبدى خلالها طرقه وانشاءاته البنائية العلمية والتقنية .

ما الذي تتضمنه هذه الكلمة العظيمة : (احتمالات) وتشير اليه من احالات ؟

أولى الاحالات التي تدل عليها باشارة قصدية واعية لذاتها ، كونها لحظة التواضع العظيمة للعقل الانساني المعاصر في زمن انجازاته العظيمة داخل اهاب اقصى مجالات فعاليته ضبطا ذاتيا وقوة مدعاة للخيلاء « الرياضيات » ... الرياضيات التي تداخلت مع مجمل علوميته الراهنة من تفجير بنية الذرة الى الخطوة الاولى فوق سطح القمر . قد تكون منجزاته العظيمة تلك او تبيت لعنة مدمرة عليه،

---

(١) أقصد بكلمة « نظر » الدلالة الاساسية التي تشير اليها الكلمة في قاموس العربية ، حيث يتساوق : التأمل والتدبر والتفكر المقدر والمقايس ... بذلك يصبح النظر فعلا والفعل نظرا ... مع تأكيد رفضي للحس الساذج والوعي السطحي الذي يقسم العمل الانساني وفعله الى ثنائية سكونية عملي ـ نظري . (راجع ابن منظور « لسان العرب » ج ٣ ص ٦٦٤) . أيضا ـ « المنجد في اللغة والادب والعلوم » ص ٨١٧ . نص ١٥ سنة ١٩٦٠ . المطبعة الكاثوليكية، بيروت .

(٢) أفهم باصطلاح (الاولانية) البنية الاولى او الوحدة الاولى لكل مصادرة معرفية ، او لحظة عملية .

وهي قضية مرهونة بعوامل عديدة ترجع بصورة رئيسية الى الايـدي والرؤوس ، او الرؤوس الايدي التي تقود نظم الحكم في المجتمعات المعاصرة .

اذا رجعنا الى كلمة (احتمال) ، نرى انها تساوي مضمونا متماثلا لكلمات فكرنا العربي الوسيط « الله أعلم » او « العلم عند ربي » وهي جمل كانت توضع في بداية الفصول او نهاية الابواب وفقرات المؤلفات الدينية وغير الدينية .

لا بد هنا من حفظ الفارق الجذري بين الاحتمال والله أعلم خاصة من حيث احالة الدلالة التي يتجه نحوها القصد الاحتمالي .

ففي الثانية ، الله أعلم او العلم عند ربي ، تتجه احالة القصد الاحتمالي الى مفهوم لاهوتي هو « الله » بينما تتجه احالة القصد الاحتمالي في الاولى « الاحتمالات » الى ذاتها اي الى الانا الانسانية الواعية وحضورها الوجودي بالاضافة الى ظاهرات الوجود المتبدية امامها . كما تتجه ايضا وعلى مستوى اكثر عمقا ، الى المجهول والغامض وغير المعروف واللامنجز بعد . بالنتيجة ، الاحتمالات هي مجال اللماذا الانسانية في حيرتها وقلقها ، توترها وبحثها عبر فعاليتها المبذولة التي تظل مشدودة ضمن اسار حدود النسبية الانسانية من الرياضيات الى الفيزياء ، الى علوم الفضاء ، وعلوم الانسان الاجتماعية ، بل أيضا في كلية الفلسفة .

ان التمايز القائم بين الاحالتين كيفيا نهائيا بحيث يتعذر معه فرض اللقاء التماثلي من حيث النتائج رغم تشابه المقدمات .

فبينما يجذب مفهوم « الله » اللاهوتي جهد الانسان وفعله وكلمته نحو الايمان الديني وطمأنينة التسليم عند نقطة معينة مهما كانت بعيدة، يقذف مفهوم « الاحتمال » فعالية الجهد الانساني ويلقيه بكليته الى الحيرة والقلق ومحاولة البحث اكثر داخل أفق حياة مصيره المجهول الكنه .

لكلا المفهومين نتائج تترتب عليه أجرائيا . نتطرف لتشارف الركود السكوني للمعتقدية بالنسبة للمفهوم اللاهوتي « الله » (للفكر العربي تجربة طويلة معه) ، او تتطرف لتشارف العدمية الشاملة في الثاني « الاحتمال » نظرا لغموض البحث ومشقته المحكومة بصيرورة دائمة قد تفرغ قابلية الاستمرار وقدرته من مقوماتها لاسباب عدمية تتخطى اسارية مفاهيم علم النفس المرضي وغير المرضي بالتأكيد ... لان البعد الايجابي للرؤيا العدمية يكمن في تشكيلها دوافع نوعية وبواعث جديدة لمحاولات أفهم اكثر للحالات والظاهرات المعاشة . والا توقف مشروع العلم رغم لايقينية مسلماته كعلم في التحليل الاخير (٣) .

يرادف مفهوم الاحتمال فلسفيا على مستوى افقي واحد مفهوم الامكان Contingency او فكرة الوجود بالقوة . بالنسبة لبنائية هوية الوعي بين المفهومين تماس Contact ليس تماسا اقترانيا Contiguity ، وانما تماس محاذ Correspondence (٢) عموما ، أيا كان نوع التماثل في مضمون ترادف الكلمات فهو اعتراف مباشر بمحدودية المنجز والقائم الراهن مع تأكيد رفض التوقف نهائيا عنده ، مرة واحدة امامه .

لذلك لم تعد هناك أرض ثابتة صلبة ، سكونية ، اخيرة مطلقة لعلم مطلق نقف عليها مرة واحدة والى الابد كما زعمت علوم القرن الماضي وفلسفاته : او بعض فلسفات النصف الاول من القرن العشرين (ظاهراتية هوسرل) (٥) .

ان الانسان هو ارض الثبات الوحيدة ، بوصفه مشروع وعي مفتوح وسط جميع الازمنه وعبر كل الحضارات رغم تنوع مضمون كلمة انسان ودلالاتها من عصر الى عصر ، من حضارة الى اخرى .

فالاحتمال هو اللماذا (؟) ، قدرة الانسان غير المحدودة على التساؤل والاستفهام ، واللماذية هي الامكان ، والامكان هو الحرية بوصفها قدرة الانسان على النظر ، والنظر فعل ، ومحاولة استجلاء معنى الوجود اكثر .

بما ان اللماذائية هي فسحة الحرية الانسانية فان قتل اللماذا ـ قدرة الانسان على التساؤل والبحث ـ ومحاربتها انما يعني بالنتيجة قتلا لانسانية الانسان وحريته . الامر الذي كان وما زال وسوف يبقى في مجال الرفض ولن يبرره أي معتقد أو مبدأ أو مذهب او نظرية او شعار .

وقد ثبت بالتجربة التاريخية للانسان استحالة صب الوجود الانساني داخل قالب ، او قوالب ، نهائي يستنفده مرة واحدة نهائية واخيرة الى الابد . رغم ان محاولات الاستبداد العقائدي والمذهبي لم تنقطع ولا تقف وربما لن تقف . ان تشييء الانسان عن طريق صهره وتشكيله بعد صبه داخل قالب معد مسبقا ما زالت وستبقى كما كانت مرفوضة بوصفها رمز العبودية والقهر والتسلط والاستبداد ، من السلاسل الى المعتقدات الصنمية .

لقد دفعت الانسانية انهارا من الدم ثمنا لحريتها ... تساؤلاتها ... امكانها ... احتمالها الآتي .. بالتأكيد ، قتل كثيرين ، وسمل عيون كثيرين (عقوبة سائدة في التاريخ العربي الوسيط) ... صلب كثيرين ... سحل كثيرين ... جلد كثيرين .. باسم الزندقة والهرطقة .

لقد حورب الاحتمال دائما ، احتمال فكرة ، اكتشاف ، تطلع نحو الآتي ومن اجله .

الاحتمال اللماذائي والدين والجنس

سوف آخذ التصورات اللماذائية الاحتمالية السالفة وأقرأ على ضوئها مجالين يتعذر تناولهما بالبحث والتحليل فيهما او التساؤل عنهما دون القيام برهان كبير ربما كلي في بلادنا : الدين والجنس .

الدين

نلمس في المجال الاول ، الدين ، الافق الاكثر احراجا وخطورة . لان الاديان السماوية الثلاثة (اليهودية ـ المسيحية ـ الاسلام) خرجت من ارضنا العربية .

يلاحظ في هذا المجال ، انه يستحيل البحث والتساؤل ، الشك أو الرفض دون مجابهة اللااتساق الانفعالي انفاضب للصيغ الاتهامية ونعوت (المروق ، الزندقة ، الفتنة ، الطائفية ، الالحاد

---

(٣) ناقشت هذه الفكرة بالاضافة الى فكرة الوعي التراثي وعلاقتهما مع حركة التحويل العربية المعاصرة في بحث سابق بتوسع اكثر « شبابنا وأزمة التراث » (التراث بين التقدمية والرجعية) ص ٢١ (مجلة المعرفة عدد ١٠ سنة ١٩٧١) .

(٤) تستند الاصطلاحات الفلسفية المستعملة هنا الى قاموس « مصطلحات الفلسفة » بالفرنسية والانكليزية والعربية .

(٥) حاول هوسرل ان يصل الى فرض أرض مطلقة تصلح اساسا لعلم كلي مطلق . وهو كعالم رياضي له مبرراته . ربما يكون مبدأ الهوية الذي تتأسس عليه تصورات « الحساب » العدد ، أي الرقم ، هو الذي قاده الى رؤيا المطلق كقصد لفلسفته . وبما ان نقطة انطلاقه تلك الرقم الحسابي ، فان الامانة التامة لمرضية بحثه عن المطلق عبر « الهوية » تقتضي انتحار مشروعه لحظة ولادته . لانه قتل مطلقه بهويته الحسابية لكونه مطلقا في نسبي . لقد انتحرت رؤياه لحظة انبثاقها المنهجية العظيمة . ـ راجع ادموند هوسرل « تأملات ديكارتية ، المدخل الى الظاهريات » ترجمة د. نازلي اسماعيل . دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٠ .

الكفر (٦) ، الى آخر سلسلة الاوصاف والمسميات التي قد تصل الى مستوى الاجراءات القانونية المرفوقة بصك ادانة وحكم دون محاكمة على متهم يمارس ابسط حقوقه الانسانية عبر تساؤل ؟؟

يصلب ذاتيا وموضوعيا ... تتهاوى كلماته وتتساقط كتاباته بين الايدي السوداء للرقابة . يسمل رأسه كله لا عيناه فقط كما كان يفعل الاجداد ، تتركز جهود اجهزة كاملة ومراكز كثيفة تجسد سلاسل التاريخ واثقاله وأوزاره لكي تحجب لاذائيته ، شفافيته وارهافه المهم صمته ، سكوته ... خنق وعيه ، بيد الخليفة او الفقيه .

القائم هو المألوف ، والمألوف هو السائد ، والسائد هو المعتقد والكل مؤمن ... الايمان لا يقبل الكسر ... لا يحتمل التأويل . فيبدأ اغتراب طويل للفكر تدفعه آيات البطولة والندرة ...

الدين تابو Taboo (٧) ... محرم . يستحيل الاقتراب منه ، التماس معه ، الحوار فيه الا بعد مصادرة الوعي لفئة او فئات غشت بصيرتها مالوفية الموروث وضبابية اترسوخ في العلم .

ان بقاء الدين والفكر الديني على هذه الوضعية خارج حدود البحث احدى اكبر مآسي فكرنا العربي المعاصر .. حرية الفكر مجابهة الايدي التي تحمل سيف التحريم يضربون به رأس او يد كل من تسول له نفسه أو سوف تسول له نفسه ،الشك ، التساؤل ،الرفض لمسلمات المغلق وبدهيات الصحة المحضة والصواب غير النهائي الذي لا يقبل الجدل ، وان يقبله ، ولا يحتمل المناقشة او يخضع للعقل ، بل وحتى اللاعقل ...

الدين قائم لانه قائم . وعلى فعالية الفكر وحرية العقل الانحناء والركوع والسجود لضحيته ووثنيته .

اما اعلان ثورة اللاماذائية فهي زندقة ، مروق ، هرطقة لعنة وارتداد ، وكل مرتد يقتل ، وكم من الآلاف عندنا على استعداد للفوز بشرف بطولة الاغتسال بدمها ؟ يوافق الجميع ... يصمتون ، يتصامتون ، خوفا ، طمعا ، رهبة او ايمانا ..

تبقى اللاماذائية تلهج داخل ذاتية الوعي الذي تجرأ واخترق اسوار القائم وجدران المعطى المألوف والسائد الموروث .

ذلك هو مصير الوعي اللاماذائي الباحث عن انسانيته في مجتمعنا، ربما الباحث عن يقينه الديني نفسه (الصوفية مثلا) . الصليب دائما .

وطبيعة المصير الشخصي للوعي اللاماذائي ، مرهونة شرطيا بمدى حدة شجاعته الاخلاقية المستمدة من حدة لاماذائيته وجذريتها . العلاقة بين الشجاعة الادبية واللاماذائية والمصير الشخصي علاقة طردية . كلما ازدادت جرأة مجابهة اللاماذائية وعمق صميميتها كلما تضاعفت عدمية العقوبة وشراستها وتمزيقها . على صعيد الدين، مصير لاماذائيات الصوفية في غنى عن التعريف : (الحلاج ـ السهروردي ـ ابن عربي ـ ابن سبعين) .

لست راغبا في ايراد امثلة من تاريخنا الفكري المعاصر (تاريخنا القديم ينضح بأمثلته) لان ندرة الفكر المتمرد تثير مشاعر الخجل بوصفها اشارة اتهام لاخلاقية الفكر في بلادنا .. الفكر التابع المنحني امام العتبات السياسية والدينية .

سوف يصرخ هنا قضاة كثيرون ، بأحكام القيمة على الرؤية الواقعية الراعفة السابقة .. وما اكثر القضاة في مجتمعاتنا واوطان فضاتها متهمون بعد ان تحنطت لاماذائية الرفض داخل الذات الفردية قبل الجمعية .

مع التأكيد على كلمة « تحنطت » التي تعني البقاء دون فناء وبلا حياة في نفس الآن .

لقد وصلنا الى حزيران الفرد قبل ان نصل حزيران المجتمع ، حزيران الكلمة قبل حزيران البندقية ومعه . حزيران التاريخ قبل حزيران التاريخ .

الاحتمال اللاماذائي والجنس

يتماثل الجنس مع الدين في بلادنا من حيث هو تابو مقدس ،محرم بالاستناد الى معايير الاخلاق السائدة . يستحيل البحث فيه او التساؤل عنه ، دون القيام برهان كبير على السمعة الادبية والاخلاقية لشخص السائل المتسائل .

من البدهي ، والعقلية الاخلاقية السائدة مطوقة بالممنوع والمحرم، ان تتباطن الذوات الفردية والمجتمعية بعقد الكبت ومركبات النقص والاسقاطات نتيجة الاغماض والتجهيل ، العمى الجنسي ، في مجال التربية الجنسية لما هو طبيعي مع التركيب الجسدي لكل فرد وفيه .

سوف يقتصر التحليل هنا على الجنس عند الرجل في بلادنا، لان الاسس الواقعية لصدق الحديث عن الجنس عند المرأة في بلادنا ضعيفة لكوني رجلا ، ولان الموضوعية المحضة للذات او للموضوع مستحيلة التطابق بتحديد لا يقبل النفاذ او التساؤل . ان عبودية الرجل هي الجزء المفقود من حرية المرأة . وعبودية المرأة هي الجزء المفقود من حرية الرجل .

تحكم الرجل في بلادنا عبودية جوانية تصورية يمكن تحديدها بما يمكن تسميته التصور الجنسي للمرأة .

والتصور الجنسي للمرأة تصور اختزالي لانسانية المرأة . يختزلها ليصبها داخل اسارية قالب فعالية حيوية جسدية هي الفعل الجنسي . فهو يسقط الانا الواعية للمرأة ويحذفها لصالح البعد الغرائزي الجسمي الذي يصبح هو الحضور الانساني للمرأة في نظر ـ الرجل ،وهذه اعلى درجة تشييئية لانسانية المرأة يمكن افتراضها حيث تتبدى المرأة جسدا وشهوة فقط .

ولا بد من التأكيد على جدلية العلاقة بين الطرفين .

ففعل التشييء لا يقع على موضوع التشيؤ ـ المرأة ـ وانما على مصدر ـ التشيؤ ـ الرجل ـ لان مصدر قصد التشيؤ ـ الوعي هو الذات المتشيئة للرجل ايضا .

تشيؤ المرأة الانسان ، تشيؤ الرجل الانسان : كلاهما ممارسة عبودية ، غير حرة ، للتشييء ، بحذف ما هو انساني في كليهما.

لكن لا بد من التمييز هنا بين عبودية الرجل وعبودية المرأة ضمن التصورات المنطقية السالفة .

عبودية المرأة ، مظهرية ، شكلية ، برانية ، ترتكس على جوانيتها ماهيتها الشخصية والاخلاقية ، بصورة كلية .. فنقطة انطلاق عبودية المرأة هي المجتمع ، الرجل ، السلطة . من ناحية ثانية ،نجد ان حرية الرجل مظهرية شكلية ايضا ، ترتكس على ماهية ادعائه الذاتي الوهمي بالحرية السلوكية ، وقدرته على التصرف والتقرير والاختيار .

---

(٦) اطلقت هذه النعوت حتى على الصوفية عندما احدثوا ثورتهم الروحية على الفقه الاسلامي السني . ـ راجع ابو العلا عفيفي « التصوف ـ الثورة الروحية في الاسلام » ص ١٠٤ اصدار دار الشعب .

(٧) المقصود هنا ، المقدس على مستوى الفكر وليس الدلالة الاساسية لمصطلح تابو Taboo ، في علم الاجتماع والانثربولوجيا Anthropology . وقد استعملت نفس الدلالة للاصطلاح في بحث شبابنا وأزمة التراث (ص ٢٩) المشار اليه آنفا .

ونقطة الانطلاق هنا ، الانا الواعية للرجل .

ما بين تشييىء برانية المرآة ، عبوديتها ، وتشييىء جوانيةالرجل، عبوديته ، تقع فسحة مشكلة الجنس وعقده في بلادنا .

ومن المناسب ، ان نطرح هنا ، السؤال الكيفي الآتي : كيف ينشا الانسان دينيا وجنسيا في بلادنا ؟

الحديث عن التربية ، هو التحدث عن طريقة انشاء الانسان . كيف يتم انشاء الانسان في بلادنا من الناحيتين الدينية والجنسية ؟

لن استند الى نظريات تربوية مستمدة من تجارب مجتمعيةاخرى تختلف تجربتها الحضارية والثقافية عن مجتمعنا كما تفعل كتب التربية عندنا ، وانما سوف اقوم بعملية قياس استدلالي تستقرىء الظاهرة انطلاقا من التجربة الحسية للواقع المعاش .

من المعروف انسانيا ، ان بدء الوعي الانساني يبدأ بسؤال ـ لماذا السنوات الاولى للطفولة . والوعي التساؤلي عن الدين والجنس يبدأ غالبا بسؤالين اثنين :

ـ اين الله ؟

ـ من اين ولدت وكيف ؟

تبدأ مع بداية الوعي السؤالي ، سلسلة لا تنتهي ولن تنقطع من الحرام والعيب والهذا كفر .

ويزداد عنف تجسيد التحريم ليصل الى القمع والصفع مع ازدياد احتدام الوعي التساؤلي ورغبة الفهم واشتعال تكرارية اللماذا ، بطريقة او باخرى من طرق الاسكات ومناهج القمع التي يتقنها الاباء والمعلمون والمربون والقضاة .

يخنق التساؤل من فوق الشفاه ليهمي داخل جوانية الذات التي تبدأ البحث عن الاجابات المقنعة في الشارع ، الكتب المحرمة ، والصحف الممنوعة التداول ، الكتيبات الجنسية السرية .

مع السنوات الاولى اذن لمرحلة طفولة الانسان المبكرة فيمجتمعنا، تبدأ اول مراحل اضعاف قدرة الانسان التساؤلية . فتبقى الاسئلة معلقة داخل جوانية (الانا) خلال سنوات عمره الاتي لتشكلخلفية ممارسات طقوس الجنس والفكر المحرمة بصورة سرية .. خاصة وان قاعدة الكبار « المهم ان لا يراك الاخرون » . والمبدأ الاساسي لاخلاقياتهم الاستتارية .. اخلاقية الاستتار (اذا بليتم بالمعاصي فاستتروا).المجتمع هو الذي يفرض عقوبة الفضيحة الخلقية كتقيض للاستتار . تقع جرائم الشرف غالبا بعد دخول الحدث الاخلاقي مرحلة العلانية . عندما يعرف الاخرون . هكذا ، يبدو لي ، ان ظاهرة العصبية ، المجتمعية والخلقية ، التي حللتها عبقرية ابن خلدون منذ ستة قرون تقريبا، ما زالت قائمة تتحدى الفكر العربي المعاصر . بعد ان انتقلت العصبية بحكم التغيير الحضاري والاجتماعي الكلي ، من عصبية الدم والقرابة والقبلية الى عصبية الاخلاق والسلوك والقيموالفكر.

والعصبية التصورية اكثر تحجيرا من المعتقد الديني ، وقدرته على التاثير المباشر اكثر عمقا منه ، بل هو امتداد لها . وعصبية التصورات والفكر ، لا تتحدى رؤى فكرنا الراهن بل تتحكم بمصير فكرنا الابداعي .. فكرنا الآتي .. فكرنا الاحتمالي اللماذائي المبدع . والابداع في اساسه لحظة رفض متمردة لما هو معطىوقائم وقراءة مغايرة تطالع الموروث التاريخي والحضاري الكلي ...

هل نستطيع ان نعيد النظر والتامل بطرق انشاء الانسان انساننا؟

هل نستطيع ان نعلم اطفالنا فضيلة اللماذا والتفتح الحر غير المحدود ؟

يبدو ان على جميع المربين والقضاة ، كل انماط السلطة ان تتعلم منظور الاحتمالات ، البحث ، والتمرد واعادة النظر بما هو معطى وقائم موروث .. وهي عملية تعليمية تربوية لن تتم الا بعد طرح الاسس النظرية للمسلمات المعتقدية المطلقة السائدة ، ومعالجتها عبر افق اللماذا الاحتمالية ..

ربما استطاع الاولياء ، بعدها ان يقيموا صرح اخلاقية نوعية اخرى توحد ازدواجية اخلاقية الاستتار الغصامية لمبدأ « اذا بليتم بالمعاصي فاستتروا » .

ان قوام المصادرة الاولى للعقلانية المعاصرة يقوم على رفض الكتابات النهائية والاوضاع الحضارية المغلقة . فالتواصل الحضاري (المواصلات) ارضية حتمية للفعل الانساني وسلوكه المعاصر .

ان روح العصر وعقلانية الاحتمالية تفرض ذاتها على جميع ظاهرات الوجود والفكر . فاذا لم يقبلها اولئك المعتقديون اويتمثلوها اراديا ، فسوف تكرههم على ذلك بالتبعية .

محمد الزايد

دار الآداب تقدم

العراء

مجموعة قصص

بقلم الدكتور سهيل ادريس

يصدر هذا الشهر